

مقتطفات من سلسلة " الطب النفسي الإيقاعي التطوري " الكتاب الأول: " النظرية والفروض الأساسية " (26)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان " 2022/02/20
السنة الخامسة عشرة - العدد: 5286

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

نواصل اليوم هذا النشر المتقطع من هذا الكتاب، لعله الأهم، أن نُقرأ نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل السابع، كما أوصى بالبداية بقراءة نشرة أمس قبل قراءة هذه النشرة.

يحيى

الفصل السابع

جدل مستويات الوعي "التناص" في العلاج الجمعي (9) Inter-textuality

.....
.....

البداية من "تناص" الوعي لدى الأحياء قبل الإنسان

إذا أردنا أن نبدأ من البداية، فلا بد أن نتعرف على ماهية "الوعي" في حدود المستطاع، هنا، والمستطاع في موضوع الوعي بالذات قليل تماما إذا قيس بحجم المشكلة وحاجتنا للسير في ضوء معرفة كافية.

عونا نبدأ بأن نسترجع محاولات "دانيال دينيت" "الدؤوب، وهو يقدم لنا "أنواع العقول (2) بعنوان فرعي "نحو محاولة فهم الوعي"، وما يهمني الآن هو التنبيه على تركيزه من البداية : أن لكل نوع من الأحياء - دون استثناء - وعي خاص به يحافظ من خلال نشاطه على بقائه بشكل أو بآخر، وقد أسمى هذا الوعي "عقلا"، في معظم تناوله للمسألة، ولا اعتراض عندي طالما أنه لم يختص كلمة العقل بهذا العقل المتحلق في أعلى مراحل تطور اللغة الرمزية عند الإنسان، وقد انتهى لينيت إلى أن العقل البشري هو نتاج:

(1) الانتقاء الطبيعي

(2) إعاقة تصميمه ثقافيا (3)

لا بد أن نتعرف على ماهية "الوعي" في حدود المستطاع، هنا، والمستطاع في موضوع الوعي بالذات قليل تماما إذا قيس بحجم المشكلة وحاجتنا للسير في ضوء معرفة كافية.

أن لكل نوع من الأحياء - دون استثناء - وعي خاص به يحافظ من خلال نشاطه على بقائه بشكل أو بآخر

هل ثمَّ "تناص" جرى ويجري بين مستويات الوعي المختلفة في النوع الواحد، وكذلك بين وعي نوع من الأحياء ونوع آخر استطاع أن يبقى معه أيضا؟

وهكذا يمكن الانتباه إلى ضرورة مراجعة غرورنا بعقولنا الظاهرة ونحن نتصورها، ونصورها طول الوقت، أنها الأصل، وأن كل ما عداها هو ناتج عن نشاطها، ولكن يبدو أن الأمر ليس كذلك تماما، فما العقل إلا جانب واحد من نتاج لعملية التطور والانتقاء.

حين نعرف كيف نشأ العقل سواء تجلّى في منظومة إبداعية حركية تسمى الوعي، أم تربع على منظومات مفهومية وصية تسمى العقل الحديث، أقول حين نعرف كيف نشأ العقل من كل من الانتقاء الطبيعي، ثم إعادة تصميمه ثقافيا، (لما يقول لينيت) بكل ما تعنى الثقافة من تلاحم جماعي، وتناغم مع البيئة، وتطور وإبداع، لا بد أن نتوقف أمام المقولات الشائعة، ونعيد النظر في علاقة كل ذلك بحركية الوعي بين الأحياء من نفس النوع، وأيضا مع الأنواع الأخرى، وأن نتساءل: هل ثمّ "تناص" جرى ويجرى بين مستويات الوعي المختلفة في النوع الواحد، وكذلك بين وعى نوع من الأحياء ونوع آخر استطاع أن يبقى معه أيضا؟

ثم يأتي المزيد من التأكيد على لور الإبداع في البقاء باعتباره الحركية الجدلية التشكيلية بين الأحياء، والمحيطين بنفس النوع وغيره تكافلا، ذلك من خلال مقولة "سيلفانو أریتی" في كتابه "الإبداعية: ذلك الولاف السحري (4) Creativity: The magic Synthesis" فقد جعل أریتی - في سياق الإبداع - أن آليات وبرامج التعامل البقائي ليست فقط مع أفراد الأحياء من نفس النوع، ولا مع الأنواع الأخرى، ولكن مع لوره في إبداع وتشكيل الزمان والمكان، وهذا بالغ الأهمية نتعلم منه أن التكيف وإبداع الحياة - لتستمر ويبقى النوع - يحتاج من الكائن الحي بما في ذلك الإنسان أن يتشكل مع الأزمنة والأمكنة أيضا، الأمر الذي يتعلمه أيضا - كما يقول أریتی: من البيئة الخارجية، ثم يقول بعد ذلك " ثم ينقلها التطور من جيل إلى جيل"

هكذا تتواصل العملية الإبداعية حين يمثل هذا التشكيل الإبداعي تلاؤما بين البيئة المحيطة وما تحمل من التركيب الوراثي لقوانا وطاقتنا التشكيلية المبدعة خاصة، إذن فهذا إبداع آخر من إبداعات برامج وآليات التطور، وهو مسئول عن البقاء، ذلك لأنه كما قال أریتی أيضا: "إن أية آلية أو تركيب لم ينجح في التلاؤم: قد فشل أن ينتقل جينيا"، ومن ثم هو قد فشل في مواصلة مسيرة التطور، وحين يصل الأمر إلى أن يكون هذا الانتقال الجيني مشروطا بأن ما ينتقل إلى الأجيال الأحدث هو ما ينجح في عمليات الإبداع والتكيف، يزداد وعينا بأهمية وأولوية حركية التفاعل بين مستويات الوعي وبعضها، بل وبين مستويات الوعي (التي أسماها لينيت: عقولا) وبين الطبيعة من حولنا بما في ذلك المشاركة في تشكيل الزمان والمكان كما أشار أریتی في سياق كلامه عن طبيعة الإبداع.

وبعد

ما علاقة كل هذا بالتناص، وبنقد النص البشري، وبالطبفسى التطوري؟

*إذا كانت الأحياء حتى قبل الإنسان لم تبق، ولا تستمر، ولا تتطور ولا تبدع إلا من خلال جدلية حركية الوعي معا، فكيف بالله عليكم يواصل الإنسان مسيرته بأقل قدر من الانتباه إلى هذا الدور الخلاق لحركية الوعي؟ إن التماهي في تهميش هذا التبادل الإبداعي الواجب الانتباه إلى تركيته على كل المستويات، ينتهي إلى مضاعفات التدهور والانقراض، ومن بينها تجليات معظم هذه المظاهر والمضاعفات المسماة المرض النفسى.

*إذا كان الكائن البشرى هو " نص حيوى" أبدعه بديع السماوات والأرض، وهو مركب من كل مستويات وعى من سبقه على مسيرة من أكرمهم الله بخلقهم وهداهم إلى طريق الحفاظ على طبيعتهم بتبادل التشكيل وإعادة التخليق عبر كل المسويات، فأين نحن الآن (خصوصا الأطباء والمعالجين) من

أن آليات وبرامج التعامل البقائي ليست فقط مع أفراد الأحياء من نفس النوع، ولا مع الأنواع الأخرى، ولكن مع دوره في إبداع وتشكيل الزمان والمكان

أن التكيف وإبداع الحياة - لتستمر ويبقى النوع - يحتاج من الكائن الحي بما في ذلك الإنسان أن يتشكل مع الأزمنة والأمكنة أيضا.

تتواصل العملية الإبداعية حين يمثل هذا التشكيل الإبداعي تلاؤما بين البيئة المحيطة وما تحمل من التركيب الوراثي لقوانا وطاقتنا التشكيلية المبدعة خاصة

هذا إبداع آخر من إبداعات برامج وآليات التطور، وهو مسئول عن البقاء

إن أية آلية أو تركيب لم ينجح في التلاؤم: قد فشل أن ينتقل جينيا، ومن ثم هو قد

فشل في مواصلة مسيرة التطور

إذا كانت الأحياء حتى قبل الإنسان لم تتوقف، ولا تستمر، ولا تتطور ولا تبدع إلا من خلال جدلية حركية الوعى معاً، فكيف بالله عليكم يواصل الإنسان مسيرته بأقل قدر من الانتباه إلى هذا الدور الخلاق لحركية الوعى؟

إذا كان رب العالمين قد أكرم هذا النص البشرى أكثر من غيره فجاء على "أحسن تقويم"، ثم سلمه الأمانة ليتعهد بقاءه واستمراره ما أجاد حملها، الأمر الذى يتوقف على مدى نجاحه فى الحفاظ على هذا التقويم الأحسن

كان لزوم ذلك هو استمراره على طريق التطور وتبادل حركية الإبداع مع كل ما يلوح من مستويات الوعى النابضة بإيقاع حيوى خلاق، فما الذى جعلنا نصير إلى هذا المنحرف الهامشى، والتجزئى، والكمى والمغترب؟ (من ذلك: المرض النفسى) ولحساب من؟ وإلى متى؟

مسئولية تعهد كل ذلك أو بعضه حتى نقرر على مواصلة المضى فى الطريق الصحيح للحفاظ على ما هو "ربى كما خلقتى"، بعد كل ما جرى ويجرى؟

*إذا كان رب العالمين قد أكرم هذا النص البشرى أكثر من غيره فجاء على "أحسن تقويم"، ثم سلمه الأمانة ليتعهد بقاءه واستمراره ما أجاد حملها، الأمر الذى يتوقف على مدى نجاحه فى الحفاظ على هذا التقويم الأحسن، وكان لزوم ذلك هو استمراره على طريق التطور وتبادل حركية الإبداع مع كل ما يلوح من مستويات الوعى النابضة بإيقاع حيوى خلاق، فما الذى جعلنا نصير إلى هذا المنحرف الهامشى، والتجزئى، والكمى المغترب؟ (من ذلك: المرض النفسى) ولحساب من؟ وإلى متى؟

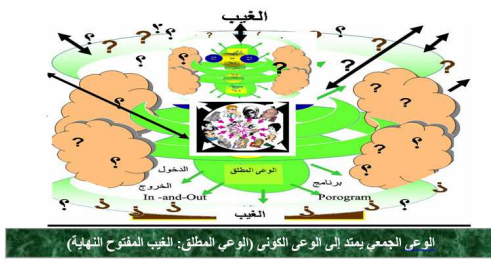
*إذا كان المرض النفسى هو بعض أوجه فشل هذه المسيرة، أليس من المنطقى أن يكون علاجه هو محاولة تصحيح المسار لإنجاحها بكل ما أتينا لنا من ألوات وقدرات وحركية وعى؟

*هذا هو ما حاولنا الإشارة إليه مما لاح لى فى العلاج الجمعى ثم رصدته وحاولت شرحه فى هذا العلاج؟

قيل وكيف كان ذلك؟

□عونا نتأمل ما جرى ويجرى فى العلاج الجمعى من واقع ثقافتنا الخاصة

أقدم لكم الآن أشكالا بلا تعليق ربما تقوم بمثابة عوة إلى النظر فى ما لم أستطع كتابته بالألفاظ فى المتن، حتى نعوذ إليها ما أمكن ذلك.



.....

.....

(ونكمل الأسبوع القادم)

بعرض الفصل الثامن: "هامش: عن الطاقة والوعى والصراع!!"

- [1] انتهت من مراجعة أصول "الطب النفسي الإيقاعي" التطوري" وهو من ثلاث أبواب: وسوف نواصل النشر البطيء
آملا في حوار، منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2022)
(تحت الطبع)

[2]- Daniel C. Denne : (1996) "Kinds of Minds
Towards Understanding of Consciousness"
دانيال دينيت: أنواع العقول: نحو محاولة فهم الوعي :
الكتاب المترجم صادر عن "المكتبة الأكاديمية" القاهرة
2003

[3] - **Denette came to the conclusion that:**
Human mind is the outcome of إعادة + الطبيعي
! تشكيله بالتأثيرات البقائية

(1) **natural selection** + (2) **Restructuring by
cultural influences**

[4] - **Silvano Arieti: Tertiary processes** (1976),
Creativity: The Magic Synthesis. Basic Books, New
York

...These modes (i.e. the structures of time and space)
have to be "learned" by evolution itself from the
external environment and then evolution transmits
them from generation to generation. The modes happen
to fit the world because the hereditary depositories
of our mental functions were selected for their
evolutionary fitness. Whatever mutation or mental
structure did not fit was dropped from genetic
transmission.

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200222.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%b3%d9%84%d8%b3%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a-6/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاما من الضحى... 19 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

إذا كان المرض النفسي هو
بعض أوجه فشل هذه
المسيرة، أليس من المنطقي
أن يكون علاجه هو محاولة
تصحيح المسار لإنجاحها بكل ما
أتبع لنا من أدوات وقدرات
ومركبة وعي؟